كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

جماليات المصدر الصَّريح وتداخلاته

في

التَّعبير القرآني

إعداد

د . جمعان بن بنيوس السيالي

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية جامعة الطائف

جماليات المصدر الصَّريح وتداخلاته

في

التَّعبير القرآني

جماليَّات المصدر الصَّريح وتداخلاته في التَّعبير القرآني

الدكتور. جمعان بن بنيوس السيالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدّمة

الحمدُ للّه الَّذي شرّفنا بدراسة لغة القرآن الكريم ، ووفّقنا وهدانا إلى بعض أسرارها ، وأنعم علينا بتدبّر كلامه العظيم ، والصَّلاة والسَّلام على سيّد المرسلين ، وخاتم النّبيين ، محمَّد الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وأَمَّا بعد :

فقد صحَّت النيَّة أن نلتقي بالقرآن الكريم ، دارسين مسلكه اللغويّ ، بعد أن التقينا به قارئين ومستمعين ومتدبّرين ، وهذه الصّحبة العطرة الَّتي جمعت بيننا وبين القرآن الكريم ، للوقوف على (جماليَّات المصدر الصَّريح وتداخلاته في التَّعبير القرآني) كان لها الأثر البارز والكبير في جعلنا نمدّ أيدينا إلى قطوفه الجماليّة ، وثماره الكريمة الطيّبة ، لعلّنا نُصيب من خيره ، وننعم بظلاله .

إنَّ هذا العمل الَّذي نضعه بين يدي القارئ العزيز يحاول أَنْ يكشف هذه الجماليَّات الَّتي تُعني بالأسلوب القرآنيّ السَّاحر الأخّاذ ، المنسوج من الكلمات المشحونة والمحمّلة بالدّلالات والمعاني الكثيرة الَّتي تمثّل ذروة البلاغة والبيان ، ففي كلّ مفردة من مفردات القرآن الكريم قبسة من نور ، ونفحة من نفحات القوّة والعزّة .

ولأسلوب القرآن الكريم مسالك متنوّعة ، بيد أنّنا سنحصر الكلام في مسلك واحد ، وهو : جماليَّات المصدر الصَّريح وتداخلاته وأثرها في المخالفة الأسلوبيّة ،

فقد أوقفنا دراسة هذا اللون اللغويّ على تراكيب بعض الآيات القرآنيّة ، ونعنى بهذا المظهَر الأسلوبي الَّذي هو جدير بالتأمّل والنّظر والدّروس والتّدقيق .

إنَّ أيّ ترجيح لبعض الوجوه الإعرابيّة للمصدر الصَّريح في التّراكيب النَّحويَّة المتشابهة والمتداخلة في تعبير القرآن الكريم له الأثر البارز والواضح في تغيير منحى أسلوب الكلام ، من نمط لغويّ إلى أنماط لغويّة أخرى ، شغلت عقول النّحاة ، والبلاغيين ، وعلماء التّفسير ، وأصحاب القراءات القرآنيّة ، في توجّهها التَّوجيه الأمثل .

إنَّ لهذه الوجوه الإعرابيّة مظهرًا أسلوبيًّا له دلالته ، وكلّما أنعمنا النَّظر في الأسلوب القرآنيّ ؛ تكشَّفت لنا فيه آفاق من الاتّساق والتّناسق ، فمن نظم فصيح ، إلى تعبير مصوّر دقيق ، إلى افتنان في الإخراج ، وبهذا يكون الإبداع ، ويتحقّق الإعجاز الأسلوبيّ الَّذي يمثّل ذروة التّسامي فوق النَّحو والبيان ، المعبّر عن المعنى المقصود أتمّ تعبير .

إنَّ في نظام الجملة العربيّة مرونة كبيرة ؛ لكونه يتفرّع إلى عدّة أنظمة تؤسّس على المتشابه والمتداخل ، وإمكانيّة حمل التّركيب الواحد على أكثر من وجه ، فظاهرة التَّداخل باب واسع في العربيّة ، يشتمل عدّة ظواهر لغويّة ، تدلّ على سعة العربيّة ومرونة نظامها ، القائم على التَّرابط والتَّداخل ، وتعلُّقُ الكلام بعضه برقاب بعض يحوي أسرارًا جماليّة ومعاني سامية دقيقة ، اختلف تفسيرها بين البلاغيّين والنّحاة وعلماء التّفسير .

ويهمّنا أن نشير إلى أَنَّ تداخلات المصدر الصّريح مبنيّة على حمل الكلام بعضه على بعض في سياقاته المختلفة ، الصّرفيّة والنّحويّة والبلاغيّة والدلاليّة وغيرها ، كلّها تنساق في ضوء نظام واحد ، هو تعلّق الأصوات بالحروف والألفاظ والتَّراكيب والدلالات بعضها ببعض ، وحمل بعضها على بعض ، وهذا هو سبب الترابط والتّماسك والجمال والعذوبة والموسيقى الرّائعة ، الَّتي تحدّث عنها علماء إعجاز القرآن الكريم القدامى والمعاصرون .

وقام هذا البحث على عرض الآراء والوجوه المختلفة ، واختار منها الأنسب والأفضل ، بعد دراستها واستخراج الدّرر منها ، ويدلّ هذا على أَنَّ الخلاف ليس عبثًا ، بل هو دليل حيويّة اللّغة ، وهو أيضًا من محاسنها ، ولا سيّما ما كان مأخوذًا من اللّغة من عدّة لهجات ؛ ممّا يتطلّب نحوًا (مرنًا) .

ومهما يكن من أمر ، فإِنَّ الاجتهاد النَّحويّ ، والإفادة من الخلافات النَّحويَّة ، وتعدّد الوجوه الإعرابيَّة ، كان من أهمّ الأسس الَّتي استند إليها النُّحاة والبلاغيّون ، الَّذين وجدوا أنفسهم أمام شواهد فصيحة تخالف قواعدهم ، فلجأوا إلى التَّأويل المصنوع ؛ لذلك رأينا أن نختار القرآن الكريم مثلاً لغويًّا بلاغيًّا أسمى ؛ ليكون وحده المرجع الَّذي تُستنبط منه القواعد النَّحويَّة .

إِنَّ النَّظرة الكليَّة لظواهر اللّغة في ضوء نظامها ، لهو منهج علميّ رصين ، وتعدّد الآراء والوجوه النَّحويَّة واختلاف الأحكام في مقدّمة المشكلات الَّتي يعاني منها النَّحو ، وتشعّب الآراء والوجوه الإعرابيّة ، وتنافرها أحيانًا ، قد يسبّب البلبلة

والفوضى ، ويخرج النَّحو عن هدفه الَّذي ينبغي أَنْ يكون عليه ، نحو اختلافهم في إعراب ((المصدر الصّريح وتداخلاته)) .

ونحن في دراستنا هذه ذهبنا مذهبًا مختلفًا نوعًا ما في دراسة التَّداخل وتعدّد الأوجه الإعرابيّة ، فحاولنا إرجاع كلّ خلاف إلى مصدر انطلق منه ، وصدَرَ عنه ، ولا شأن لنا بأيّ تصنيف آخر في اختلاف النُّحاة ، ولهذا كان اختيارنا ـ بحمد الله وعونه ﷻ ـ لهذه الدِّراسة النَّحويَّة البلاغيَّة الجماليَّة .

ويعتمد هذا البحث على المنهج الوصفيّ ، المبنيّ على استقراء التَّداخل ، وتعدّد الوجوه الإعرابيَّة ، والمسائل النَّحويَّة ، وبيان آراء النُّحاة ومناقشتها ، والتَّرجيح بينها ، ما أمكن ذلك .

وتكمن أهداف البحث في توظيف النَّحو والصَّرف والبلاغة لخدمة كتاب الله ﷻ ، والكشف عن منهج جديد في عرض المسائل النَّحويَّة والخلافيَّة ، وكذلك بيان أصول الصِّنَاعة النَّحويَّة ، كالسَّماع والقياس .

وتجيء هذه الدِّراسة في : مقدّمة ، وأربعة مباحث ، وخاتمة ، وقائمة بالمصادر والمراجع .

ـ أمّا المقدّمة : فقد بيَّنَّا فيها أَنَّ لترجيح بعض الوجوه الإعرابيَّة للمصدر الصّريح في التراكيب النَّحويَّة المتشابهة والمتداخلة الأثر البارز والواضح في تغيير منحى أسلوب الكلام من نمط لغويّ إلى آخر ، يؤكّد ذلك سموّ التَّراكيب بما يتناسب مع بلاغة وفصاحة الأساليب الَّتي شغلت عقول النُّحاة والبلاغيّين وعلماء التّفسير .

وأَمَّا المباحث الأربعة ، فهي على النَّحو الآتي :

. المبحث الأَوَّل : (المصدر الصّريح والمفعول به) ، وقد تناولنا فيه المصدر الصّريح والمفعول به ، وبيّنّا أَنَّ تداخل المصدر مع المفعول به في التَّعبير القرآنيّ الكريم إِنَّما يرجع إلى العلامة الإعرابيّة والتّشابه في الصِّيغة ، ويعود هذا التَّشابه إلى التَّسمية بالمصدر الصّريح ، إذْ يعطي حكم الأعيان ، وهو ضرب من المبالغة والتوسّع .

. المبحث الثَّاني : (المصدر الصّريح والظَّرف) ، وبَيَّنَّا فيه أَنَّ النّظر في اللّغة القرآنيّة أمر لا ينتهي ، ولا يقف عند حدّ ، بل يبقى متواصلاً على مرّ الزَّمان ، وكذلك وضّحنا أَنَّ التَّداخل بين المنصوبات يعدّ من الوسائل التّعبيريّة الدّقيقة ، الَّتي تحتاج إلى دقّة في الاستعمال ، وأنَّ التَّداخل بين المصدر والظَّرف قائم على نيابة المصدر عن الظَّرْف في النَّصب على الظَّرْفيَّة ، وكذلك الاشتراك بين المصدريَّة والظَّرْفيَّة في بعض الصِّيغ ، إذْ إِنَّ كلّ فعل زاد على ثلاثة أحرف فإِنَّ اسم مفعوله ، واسم الزَّمان والمكان والمصدر يكون على لفظ واحد .

. المبحث الثَّالث : (المصدر الصّريح والحال) ، وأوضحنا فيه أَنَّ الأثر في المفعول المطلق أن يكون مصدرًا ، وأَنَّ الحال قد ترد مصدرًا

على الرّغم من ردّ النُّحاة ذلك ، وأنَّ وقوع المصدر حالاً مقصور على السَّماع ، ولا يُقاسُ عليه ؛ لأنَّهُ مخالف للأصل ، ولا يجوز الوصف بالمصدر ؛ لأنَّهُ جامد غير مشتقّ ، ولا دلالة فيه على صاحب المعنى أو الذَّات .. والحال وصف لصاحبها ، وكذلك أوضحنا أَنَّ الإتيان بالحال بلفظ المصدر يفيد ما يفيده المصدر مع فائدة الحال ، فهو أتمّ معنًى ، ولا تنافي بينهما .

ـ المبحث الرَّابع : (المصدر الصّريح والمفعول له) ، وقد بَيَّنَّا فيه أَنَّ التَّشابه بين المصدر الصّريح والمفعول به لا يعني أَنَّهُمَا يتداخلان في جميع التَّراكيب الَّتي يجيئان فيها ، فهناك فروق مهمّة بينهما ، فضلاً عن السّببيّة الَّتي يفيدها المفعول به ، وأهمّها مجيئه مصدرًا مؤوّلاً ، ومشاركته للفاعل في الحدث ، فإِنْ لم يشتركا ؛ وَجَبَ جرّه بحرف التَّعليل (اللام) أو (الباء) ...

وقد تعدّدت مصادر البحث ومراجعه تبَعًا لتنوّع الموضوعات الَّتي عالجتها المباحث ، وكان لبعضها ميزة تخصّه ، وهي أنَّها أخذت بقيادة البحث في سكَّته ، واتّخذت دليلاً وقدرة حاكاها البحث ، وسُجّل لأصحابها هذا الفضل ، وقد سمحنا لأنفسنا بذلك ، يقينًا منّا بأنّنا مسبوقون إلى فضل يصعب علينا تجاوزه والإتيان بأفضل منه ، وقد غلب على المصدر والمراجع السِّمة العامّة من أمّهات كتب النَّحو ، واللّغة ، وعلوم القرآن وأعاريبه ، والمنطق وعلومه قديمها وحديثها .

وأخيرًا ، فهذا حسبنا من الجهد ، وطاقتنا من الجدّ ، ويكفينا شرفًا بعملنا هذا أنّنا نتقرّب به إلى الله ﷻ ، بخدمة كتابه العظيم ، ونسأله جلّ وعلا أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، إنَّهُ سميع مجيب ، وصلَّى الله وبارك على نبيِّنا محمَّد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

❁❁❁

المقدّمة

جماليَّات المصدر الصّريح وتداخلاته في التَّعبير القرآنيّ

لقد أشار النَّحويون والبلاغيّون وعلماء التّفسير إلى أَنَّ ترتيب الجملة القرآنيّة بناءٌ أحكمت آياته ، وهيكلٌ نُسِّقتْ لبناتُهُ ، ونظّمت أدقّ تنظيم ، وقد تجاوبت كلُّ جملةٍ مع وصيفاتها ؛ وذلك لأَنَّ التآخي في المعاني كالتآخي في المباني ، فمن الكلمة البليغة السَّامية الدّالّة على المعنى بأدقّ دلالةٍ ، وأبلغ مقصدٍ صُنعت الجملة القرآنيّة ، وهي جملة موحية معبِّرة بتركيبها ؛ لذا فإِنَّ للسِّياق دورًا مهمًّا في تحديد معاني الألفاظ المتشابهة والمتداخلة ، أو ذواتِ العلاقة الإعرابيَّة الواحدة ، أوْ توجّهها إلى معانٍ نحويّة وبلاغيّة مختلفة حَسْبَ ما يُفهم من المقام الَّذي ترد فيه الآية الكريمة غالبًا . وقد عزا بعض النُّحاة هذا التَّداخل إلى عوامل معيّنة ، إذْ يرى الدّكتور حلمي خليل ، والدّكتور محمَّد حماسة أَنَّ هذا التَّداخل يرجع إلى الاختلاف في تقدير المحذوف ، وهو أحد الأسباب المهمَّة في اختلاف التَّوجيه الوظيفي للمصدر الصّريح ، فتحمل اللّفظة على المفعوليّة المطلقة بتقدير مفعول مطلق محذوف ، أو بتقدير عامل من لفظ المصدر المذكور ، كما تحمل على الظَّرْفيَّة بتقدير ظرف محذوف ، أو توجيهات أخرى تختلف باختلاف تقدير هذا

المحذوف (١) . وكذلك إلى التَّشابه في الصِّيغة أو المبنى ، إذْ تحتمل اللَّفظة أكثر من معنًى في التَّركيب النَّحويّ ذاته ، وهو العامل الرئيس في تداخل المصدر الصّريح مع بعض المنصوبات الَّتي تشترك معه في الصِّيغة والعلامة الإعرابيَّة ، كالمفعول به ، والظَّرف ، والمفعول لأجله ، والحال ، وكذلك إلى الاختلاف في النَّغمة أو التَّنغيم ، وعلى هذا يمكن أن يُعدّ تعدّد الوجوه الإعرابيَّة للمصدر الصّريح توسّعًا في المعنى ، ولا سيّما أَنَّ هذه الوجوه بتقليباتها المختلفة لا تؤدّي إلى فساد المعنى أو غموضه ، كما يحصل في بعض الأبواب النَّحويَّة ، وإنَّما يقتصر تأثيرها في أحيان كثيرة على اختلاف الدّلالة للآية الكريمة بين التَّوكيد أو المبالغة ، وغيرها من الدّلالات الَّتي ترتبط بهذه الوجوه (٢) ، إذْ إنَّ للمجال الدّلالي دورًا مهمًّا في تحديد الوجهة النَّحويَّة للفظة وتأثيرًا في العلاقات النَّحويَّة .

ويرى الدّكتور تمام حسّان أنّنا نحتاج إلى مجموعة من القرائن المعنويَّة واللَّفظيَّة لفهم المقصود من الكلام للمعاني المتعدّدة للمبنى الواحد حسب ما تسمح به نمطيّة اللّغة (٣) . فتعدّد الأوجه الإعرابيَّة في القرآن الكريم له دلالته الخاصّة ،

---

(١) العربيّة والغموض : ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث : ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

(٢) معاني النَّحو ، د. فاضل السامرائي : ٢/٥٨٥ ، ٧١٨ ، ٧١٨ .

(٣) اللّغة العربيّة معناها ومبناها : ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

إذْ إنَّهُ نصّ مكتوب ، فكلّ وجه من الوجوه الإعرابيَّة يرتبط به معنًى يترتّب عليه حكمٌ معيّن ، لذا كان النُّحاة وعلماء البلاغة والتَّفسير بتقليبهم هذه الوجوه الممكنة يحاولون أن يقدّموا الاحتمالات الممكنة للمعنى ، فيحمّلون اللَّفظة الواحدة على عدّة أوجه ، وقد يكون تعدّد أوجه الإعراب في بعض آيات الذِّكر الحكيم وجهًا من وجوه إعجازه ، ودليلاً على ثراء نصّه وتعدّد إشعاعه ،وبهذا فإِنَّ لغة القرآن الكريم هي صفوة ما في اللّغة العربيّة من محاسن وجمال ، فهي المثال اللغويّ الفريد الَّذي أبدعته يدُ القدرة الإلهيّة معجزةً لبني الإنسان . لذا يمكن أن نلتمس تداخل المصدر الصّريح مع بعض المنصوبات من خلال التّدقيق في قراءة بعض الآيات الكريمة ، وذلك على النَّحو الآتي :

۞۞۞

المبحث الأَوَّل

المصدر الصّريح والمفعول به

ذكر النَّحويون أَنَّ تداخل المصدر مع المفعول به في تعبير القرآن الكريم يرجع إلى العلامة الإعرابيّة والتّشابه في الصِّيغة . كما تقدّم . إذْ إِنَّ المفعول المطلق يكون اسمًا سواءٌ أكان مصدرًا أمْ ما ينوب عنه من ألفاظ تنصب على المصدريّة ، وكذلك المفعول به ، فالاسميّة غالبة عليه ، وهي الأصل فيه (١) ، فهو اسم يقع عليه فاعل معيَّن ، ويرجع سبب التَّشابه في الصِّيغة في أحيانٍ كثيرة إلى التَّسمية بالمصدر الصّريح ، إذْ يُعطى حكم الأعيان ، وهو ضربٌ من المبالغة والتَّوسّع ، فالاتّساع يكون في المصدر المتصرّف ، فينصب مفعولاً به على التوسّع والمجاز (٢) ، أمَّا العامل الآخر في تداخلهما . كما تقدَّم . فهو الاختلاف في تقدير المحذوف ، فيقدّرونه فعلاً أو اسمًا أو مصدرًا ، وباختلاف التَّقدير يختلف التَّوجيه الوظيفي للّفظة ، ولكنّ هذا التَّداخل لا يحصل كثيرًا كما يحصل بين المصدر الصّريح والحال والمفعول لأجله ؛ وذلك للاشتراك بصيغة المصدر غالبًا ، ومن أسباب التَّداخل . أيضًا . الحمل على المعنى ، إذْ يحمل في بعض الأحيان الفعل على معنى

---

(١) شرح المفصَّل لابن يعيش : ١/١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) الأشباه والنَّظائر : ١/١٤ ، ١٥ .

فعل آخر . فينصب المصدر المنتصب على المفعوليّة المطلقة مفعولاً به لذلك الفعل ، فيختلف التوجّه الوظيفي ، وكما إنَّ هناك قرائن يمكن من خلال فكّ التَّداخلات بينهما ، أهمّها تعدّي الفعل ولزومه ، فالأفعال اللازمة والمتعدّية تنصب مصدرًا صريحًا . أمّا الأفعال المتعدّية وحدها فهي الَّتي تنصب مفعولاً به ، فلا تتعدّى الأفعال اللازمة إليه إلاَّ بوساطة (١) . ومن اللافت أَنَّ المصدر الصّريح المنصوب بعد فعلٍ من معناه لا من لفظه يُعرب على ثلاثة أوجه : أوّلها أَنَّهُ ((مفعول مطلق)) ، والنّحاة في هذا الوجه من الإعراب على مذهبين ، مذهب المازني والسّيرافي والمبرّد إلى أَنَّ العامل فيه هو الفعل السَّابق عليه نفسه ، واختار ابن مالك هذا القول ، وذهب سيبويه والجمهور إلى أَنَّ العامل فيه فعل آخر من لفظ المصدر ، هذا الفعل المذكور دليل على المحذوف ، وثانيها : أَنَّهُ ((مفعولٌ لأجله)) إن كان مستكملاً لشروطه ، وثالثها : أَنَّهُ حال بتأويل المشتقّ . فإذا قلت : ((فرحت جذلاً)) ، ((فجذلاً)) عند المازني ومن معه ((مفعول مطلق)) منصوب بـ ((فرحت)) ، وعند سيبويه ((مفعول مطلق)) منصوب بفعل محذوف ، تقديره : ((فرحت وجذلت جذلاً)) ، وعلى الوجه الثَّاني : هو ((مفعول لأجله)) ، بتقدير : ((فرحت لأجل الجذل)) ، وعلى الوجه الثّالث : ((حال)) بتقدير : ((فرحت حال كوني جذلان)) (٢) .

---

(١) الكتاب : ١/٣٤ ، ٣٥ ، شرح ابن عقيل : ٢/١٤٥ .

(٢) شرح ابن عقيل : ١/٥٦١ .

إذًا فلقاؤنا مع هذه اللّغة القرآنيَّة الشَّريفة لن يكون إلاَّ بعد أن ننظر نظراتٍ ونتأمّل مليًّا في مسالكها ومقاصدها ومراميها ... فقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النِّساء : ١٧٠] . والملحوظ في هذه الآية الكريمة أَنَّ التَّداخل بين المصدر الصّريح والمفعول به كان للاختلاف في تقدير المحذوف ، إذْ إِنَّ النُّحاة تأوّلوه ، وتابعهم المفسِّرون ، فعدَّه بعضهم مفعولاً به لفعل مضمر محذوف تقديره ((ائتوا خيرًا)) ، وبهذا لا يصلح تسليط { آمِنُوا } عليه ؛ وذلك أَنَّهُ وقع في موضع جواب الطَّلب (١) ، قال الخليل : فكأنّك قلت : ((ائته وادخل فيما هو خير لك)) ، فنصبته لأنّك قد عرفت أنّك إذا قلت له : ((ائته)) فصار بدلاً من قوله : ((ائته خيرًا لك وادخل فيما هو خيرٌ لك)) (٢) . وقال الزجّاج : { فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ } ، أي : ((فآمنوا وائتوا خيرًا لكم)) (٣) . ويرى الفرّاء أَنَّ المصدر ((خيرًا)) منصوب على المصدريّة . أي المفعوليّة المطلقة . وذلك بجعل ((خيرًا)) صفة لمصدر محذوف ، أي : ((آمنوا إيمانًا خيرًا لكم)) (٤) . ومن الملاحظ أَنَّ حمله على المفعوليّة المطلقة أولى ، وأوجه لتجنّب

---

(١) ظاهر التَّأويل في إعراب القرآن : ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٢) الكتاب : ١/٢٨٣ ، ٣٨٤ .

(٣) إعراب القرآن ، الزجّاج : ١/١٩ ، ٢٠ .

(٤) معاني القرآن ، للفرّاء : ١/٢٩٥ ، ٢٩٦ .

التَّقديرات المتكلّفة ، ولكونها تتناغم والسِّياق الَّذي هو في صدد الأمر بالإيمان والوعد بالخير جزاءً لما في المصدر الصّريح من التَّوكيد [(١)] .

وقد ذهب بعض النُّحاة إلى أَنَّ ((خيرًا)) خبر لـ ((كان)) المحذوفة ، أي : ((آمنوا يكن خيرًا لكم)) . ولكنّ كثيرًا من النُّحاة لم يجيزوه ، وعدّوه خطأً ؛ لأنَّهُ يضمر جواب الشَّرط ، ولا دليل عليه [(٢)] . ومهما يكن من أمرٍ فإِنَّ عبد القاهر الجرجاني يرى أَنَّ الحذف ((باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، فإنّك ترى به ترك الذِّكر أفصح من الذِّكر ، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة)) [(٣)] ؛ لأَنَّ في ذلك يتضاعف إحساس المتلقّي بالفكر ، وكثيرًا ما نجد هذا الحذف قد وضع مكانه نقاطًا متقاربة في إثناء الكلام ؛ للإيحاء بهذه الدّلالة الَّتي تخصب المعنى وتثيره ... وممّا حُمِلَ على الوجهين من الشَّواهد القرآنيَّة الكريمة ، قوله ﷻ : { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ } [هود : ٥٧] . ومن خلال التَّمثيل بالقول القرآنيّ الشَّريف يدرك المتأمّل أَنَّ { شَيْئًا } ((مفعول مطلق)) لاستيفاء الفعل المتعدّي (ضرّ) مفعوله ، وأَمَّا قوله تعالى : { فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ } [البقرة : ١٧٨] . (فشيء) قبل

---

(١) مواهب الرَّحمن : ١٠/٢٣٥ .

(٢) المقتضب : ٣/٢٨٣ .

(٣) دلائل الإعجاز : ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

ارتفاعه مصدر صريح . أيضًا . لا مفعول به ؛ لأَنَّ (عفا) لا يتعدّى ، ومنه قوله تعالى : { وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً } [النِّساء : ٧٧] ، والملحوظ في هذه الآية الكريمة أَنَّ { فَتِيلاً } تحمل المصدريّة والمفعوليّة ، ولكن المصدريّة أوجب وأولى ؛ لأنَّها صفة لمفعول مطلق محذوف ، وقد نابت عنه (١) .

ومن ذلك قوله ﷻ : { إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } [التَّوبة : ٤] . فالتَّداخل في الآية الكريمة واضح جليّ ، فـ { شَيْئًا } إمَّا مفعول به ثانٍ (النّقص) ؛ لأنَّهُ قد يتعدّى لواحد أو لاثنين ، وإمَّا مصدر ((مفعول مطلق)) ، أي : شيئًا من النّقصان ، أو لا قليلاً ولا كثيرًا من النّقصان . وما يحتمل المصدريّة والمفعوليّة ، قوله عزَّ وعلا : { كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا } [الكهف : ٣٣] . إذْ تبدو الآية القرآنيّة كالماسة المشعّة أنّى استقبلتها ألقت عليك بأضواء الدّيمومة والانتفاع والموارد الفيّاضة ، فالتَّداخل فيها واضح ، فـ { شَيْئًا } مفعول به ، على أَنَّ { تَظْلِمْ } بمعنى ((تنقص ، أو مفعول مطلق ، ولكنّ المصدريَّة أوجه وأولى ... (٢) .

وممّا جاء في القرآن الكريم وخرّجه النَّحويون والمفسِّرون على وجهين ، قوله تعالى : { وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

---

(١) مغني اللَّبيب : ص ٧٢٩ .

(٢) مغني اللَّبيب : ص ٧٢٩ .

عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [العنكبوت : ٨] .
فالتَّداخل في الآية الكريمة واضح ، إذْ انتصب المصدر { حُسْنًا } على المفعوليّة المطلقة ، بتقدير : ((إيصاء)) ، أي ((إيصاءً حسنًا)) ، محذوف المصدر ونابت صفته عنه ، أو على تقدير حذف المضاف ، أي : ((إيصاءً ذا حسن)) ، أو هو في نفسه حسن على المبالغة ، وقال الزّجّاج : ((معناه : ووصيّنا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يُحسن)) (١) . وأَمَّا الوجه الآخر فهو مفعول به على تقدير : ((ووصيّنا الإنسان بالحسن في فعله بوالديه)) ، أو قلنا : أولهما أو افعل بهما حُسْنًا (٢) . ولكنّ حمله على المفعوليّة المطلقة أوجب وأولى ؛ وذلك لأنَّهُ يناسب السِّياق ، ففيه توكيد لكونه مفعولاً مطلقًا ، ومبالغته بوصف المفعول المطلق بالمصدر ، أي : إنَّ التَّوصية في حدّ ذاتها حسن لفرط حسنها ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر نبتعد عن التَّغيّرات الَّتي يوجبها حمله على أَنَّهُ مفعول به (٣) .

والمتتبّع آراء النَّحويين والمفسِّرين يجدهم يُخرّجون كثيرًا من آيات الذِّكر الحكيم على المصدر الصّريح تارة ، وعلى المفعول به تارةً أخرى ، نحو قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِن

---

(١) إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدِّين درويش : ٦٧٤/٥ .
(٢) الفتوحات الإلهيّة : ٣٦٨/٣ .
(٣) تفسير أبي السّعود : ١٦٥/٤ .

الشَّاكِرِينَ } [الأعراف : ١٨٩] . والمتمعّن في السِّياق الَّذي جاءت فيه الآية الكريمة يجد أنَّ المصدر الصّريح { حَمْلاً } يتناغم مع السِّياق الَّذي يحتمل أن يكون المراد النّصب على المفعوليّة المطلقة ، ويحتمل إن كانت بمعنى الجنين ، فهي مفعول به ، و { خَفِيفًا } نعت ، أتى به للإشعار بعدم التأذّي به ، كما يصيب الحوامل عادةً من آلام الحمل ، أو إشارةً إلى ابتدائه ، وكونه نطفةً لا تثقل البطن (١) . والأولى حمله على أنَّهُ مفعول به ، فالآية الكريمة في سياق لا يستلزم وصف الحدث وتأكيده ، وإنَّما وصف عطاء الله بأن جعل للنَّفس زوجًا تسكن إليه ، ورزقها منه ذريّة . والدَّليل وصفه بالثِّقل بعد الخفّة ، وأمَّا قوله تعالى : { صَالِحًا } ، ففيه قولان : أوّلهما : أنَّهُ مفعول به ثانٍ ، أي : ((ولدًا صالحًا)) ، وثانيهما : أنَّهُ نعت لمصدر محذوف ، أي : ((إيتاءً صالحًا)) ، وهذا لا حاجة إليه ؛ لأنَّهُ لا بُدَّ من تقرير المؤتي (٢) .

وممّا جاء في القرآن الكريم ، وخرّجه النَّحويون والمفسِّرون على الوجهين ، قوله ﷻ : { وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا } [الفرقان : ٤٠] . والملاحظ في هذه الآية الكريمة أَنَّ { مَطَرَ السَّوْءِ } مفعول مطلق للفعل : { أُمْطِرَتْ } ، أي : ((إمطار سوءٍ ، أو مطرًا مثل مطر السّوءِ)) ، فهي بمعنى ((أمطار السّوء)) ، والمراد بمطر السّوء :

---

(١) إعراب القرآن ، محيي الدِّين درويش : ٨٦/٤ .

(٢) الفتوحات الإلهيّة : ٢١٨/٢ ، ٢١٩ .

الحجارة ، والمعنى : أَنَّ قريشًا عرّجوا مرارًا كثيرةً بمنازل تلك القرية الَّتي أهلكت بالحجارة من السَّماء في أثناء انتجاعهم للتِّجارة ، ويبدو أَنَّ الوجه الأمثل هو الحمل على المصدريّة ، أي : ((المفعوليّة المطلقة)) ؛ لأَنَّ وصف الحدث بالسّوء يشمل كون الإمطار على الحقيقة ، أي : ((المطر المعروف)) ، وكذلك حُمِلَ ((مطر السّوء)) على أَنَّهُ مفعول به ثانٍ لـ { أُمْطِرَتْ } ؛ لأَنَّهُ بمعنى : ((أوليت)) ، وعندئذٍ يكون المطر هو الماء النَّازل من السَّماء حقيقةً ، وهو غير مقصود في الآية الكريمة ؛ لأَنَّ { مَطَرَ السَّوْءِ } يعني الحجارة الَّتي أمطرت عليهم من السَّماء فهلكوا [(١)] . ومنه قوله ﷻ : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا } [الفرقان : ٦٣] . والملحوظ في هذه الآية الكريمة أَنَّ المصدر الصّريح منصوب على وجهين [(٢)] . أحدهما : مفعول مطلق ، أي : قولاً يسلمون فيه من الإثم ، أي : ((سلّمنا سلامًا)) ، وثانيهما : مفعول به لـ { قَالُوا } ، وعليه فـ { سَلامًا } بمعنى : ((قولاً)) على التَّسمية بالمصدر ، أي : ((قالوا هذا اللّفظ)) . وصحّة هذين الوجهين تعتمد على تعدّي أو لزوم فعل القول . فإن كان متعدّيًا صحّ كون { سَلامًا } مفعولاً به ، وإن كان لازمًا فلا يصحّ إلاَّ حمله على المفعوليّة المطلقة ، إذْ إِنَّ القول يحكى بعده الجمل ، وهي في موضع نصب دون خلاف ، وهو الأولى ، إذْ يتحقّق به معنى

---

(١) إعراب القرآن وبيانه : ٣٥٥/٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٧٥/٥ .

المصدر الصّريح ، ومعنى كونه مفعولاً به . ومن اللاّفت أَنَّ بين المصدر الصّريح والمفعول به فروقًا معنويّة ، منها أَنَّ المصدر الصّريح يقع عليه لفظ المفعول بلا قيد ، نحو قولنا : ((ضربت ضربًا)) ، إذ يصحّ أن يقال : ((الضّرب مفعولٌ)) ، ولا يصحّ ذلك في المفعول به (١) ؛ لأنَّهُ لا يقع عليه المفعول إلاَّ بقيد ، نحو قولنا : ((ضربت زيدًا)) ، ولا يصحّ أن تقول : ((زيد مفعول)) ، بل : ((زيد مفعول به)) ، والفرق الآخر يكمن في إمكان صياغة اسم المفعول من الفعل النَّاصب ((للمفعول به)) غير مقيّد بحرف جرّ ، أو غيره ، نحو قولنا : ((ضربت زيدًا)) ، يمكن أن تقول : ((زيد مضروب)) ، وكذلك نحو قولنا : ((أكرمت زيدًا)) ، يمكن أن تقول : ((زيدٌ مُكْرَمٌ)) . ولا يصحّ ذلك في ((المصدر الصّريح)) . ((المفعول المطلق)) إلاَّ بقيد ، وذلك نحو قولنا : ((انطلقت انطلاقًا)) ، ولا يمكن القول : ((الانطلاق منطلق)) إلاَّ بحرف الجرّ (٢) . وهكذا نلحظ أَنَّ التَّداخل في التَّركيب القرآنيّ الكريم .

❁❁❁

---

(١) مغني اللَّبيب : ص ٧٢٩ ، ٧٣٠ .

(٢) معاني النَّحو : ٢/٥٠٦ ، ٥٠٧ .

المبحث الثَّاني

المصدر الصّريح والظَّرف

النّظر في اللّغة القرآنيَّة أمرٌ لا ينتهي أمدُهُ ، ولا يقف عند حدٍّ ، بل يبقى متواصلاً على مرّ الأزمان والمكان ، لذا فإِنَّ التَّداخل بين المنصوبات يُعدّ من الوسائل التَّعبيريَّة الدَّقيقة الَّتي تحتاج إلى دقَّة في الاستعمال ؛ وذلك لما تؤدّي من معانٍ وإيحاءات عبر السِّياق الَّذي تُساق فيه ، والمتتبّع آراء النُّحاة والمفسِّرين في بعض تعبير القرآن الكريم يجد أنَّهُم يحملون عددًا منها على المصدريَّة وعلى الظَّرْفيَّة ؛ إذْ يشتركان في صفة حذفهما وإنابة بعض الألفاظ عنهما ، ومن أهمّها الصِّفة النَّائبة عنهما ، فتكون هذه الصِّفة إِمَّا صفة لمصدر صريح محذوف ، أو لظرف محذوف ، والَّذي يسوّغ هذا الاختلاف في التَّقدير : هو دلالة الفعل على المصدر والزَّمان ؛ إذْ يدلّ على المصدر بحروفه ، وعلى الزَّمان بصيغته ، فجاز حذف المنعوت لدلالة الفعل عليه [١] . والعامل المهمّ الآخر في تداخلهما هو التَّشابه في الصِّيغة ، ويأتي هذا التَّشابه بوجهين ، أوّلهما : نيابة المصدر عن الظَّرْف في الانتصاب على الظَّرْفيَّة . وثانيهما الاشتراك بين المصدريّة والظَّرْفيَّة في

---

(١) شرح ابن عقيل : ١/٥٨٨ ، ٥٨٩ .

بعض الصِّيغ ؛ إذْ إنَّ كلّ فعل زاد على ثلاثة أحرف ، فإنَّ اسم مفعوله واسم الزَّمان والمكان والمصدر يكون على لفظٍ واحد ، وذلك تقول : ((مَجْلِسَ زيدٍ ومَقْعَدَ زيدٍ ، وجلست مَجْلِسَ عمرو ، وأخرجته ، فهو مخرج ، واليوم مخرج حسن ، وهذا المكان مخرج حسن ، و أخرجته مخرجًا ، بمعنى ((إخراجًا)) ، والتقيته ملتقًى ، بمعنى ((التقاء)))) [١] .

وممّا حُمل على المصدريَّة والظَّرْفيَّة قوله ﷻ : { فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [التَّوبة : ٨٢] . والملاحظ أَنَّ التَّداخل في هذه الآية الكريمة واضحٌ جليٌّ ؛ إذْ حُملت اللفظتان { كَثِيرًا } ، و { قَلِيلاً } على المفعوليّة المطلقة ، أي : ضحكًا قليلاً ، وبكاءً كثيرًا ، حيث نابت الصِّفتان عن المصدر المحذوف ؛ لأَنَّ دلالة الفعل بحروفه ، أمَّا دلالته على الزَّمان فبصيغته ؛ لذا فإنَّ دلالته على المصدر أقوى ، أمَّا حملها على الظَّرْفيَّة فيكون التَّقدير ((وقتًا أو زمانًا قليلاً)) و ((وقتًا أو زمانًا كثيرًا)) ؛ إذْ إنَّ حملها على المفعوليَّة المطلقة أقوى وأدنى من المنطق [٢] . وكذلك يبدو أَنَّ الأولى حملهما على الوجهين لأنَّهما يناسبان السِّياق ، فالضَّحك بالتَّمتّع في الدُّنيا قليل بنفسه وبزمنه ، وكذلك البكاء في الآخرة فهو كثير في نفسه وفي زمنه ؛ لأَنَّ الآخرة دار البقاء ، والعذاب الَّذي

---

(١) الأمالي النَّحويَّة لابن الحاجب ، شرح ابن عقيل : ١/٥٨٣ .

(٢) إعراب القرآن وبيانه : ٣/٢٥٢ .

يعانيه الكافر مستمرّ دائم ، لهذا فالبكاء كثير بوجهتيه (١) . ومنه قوله ﷻ : { يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلاً } [الإسراء : ٥٢] ؛ إذْ إنَّ { قَلِيلاً } منصوب على وجهين ، أحدهما : نعت لمصدر محذوف ، أي : لبثًا قليلاً ، وثانيهما : ظرف منصوب معلّق بالفعل : { لَبِثْتُمْ } ، أي : في الدُّنيا ، أي : تستقصرون مدّة لبثكم في الدُّنيا وتحسبونها يومًا ، أو فهو نعت لزمان محذوف ، أي : ((زمانًا قليلاً)) . ويبدو أَنَّ حمله على المصدريَّة أولى وأدنى من المنطق ؛ وذلك لكونها تتناغم والسّياق الَّذي هو في صدد ما يُخيّل إليهم لفرط ما يكابدون من الهول والرّوع ، ولما في المفعوليّة المطلقة من التَّوكيد (٢) .

وممّا حُمِلَ على الوجهين . أيضًا . قوله عزَّ وعلا : { الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلاً } [النِّساء : ١٤٢] ؛ إذْ نلاحظ أَنَّ { قَلِيلاً } في الآية الكريمة تحمل وجهين (٣) . أوّلهما : صفة منصوبة لمصدر محذوف نابت الصِّفة عنه ، أي : ((ذكرًا قليلاً)) . والآخر : نعت لظرف محذوف ، تقديره : ((زمنًا قليلاً أو وقتًا قليلاً)) ، ولكنَّ الأولى لما يتّضح من السِّياق الحمل على المصدريّة . المفعوليّة المطلقة . لأَنَّ الكلام في سياق الذِّكر بالقول والفعل الظَّاهرين ، والدَّليل على ذلك

---

(١) البحر المحيط : ٥/٨٠ ، ٨١ .

(٢) إعراب القرآن وبيانه : ٤/٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٢/١٣٨ .

وصفهم بالكسل عند القيام للصَّلاة ، وهي من أنواع الذِّكر بالقول والفعل ، وأنَّ ذكرهم لله وصف بالقلّة مِنْ حيثُ إنّهم لا يقصدون به وجهه ولا التَّقرّب إليه ، وكما أنَّ التَّوكيد الَّذي يستفاد من المصدر الصّريح المتناغم والسِّياق لتوكيد قلّة ذكرهم لله تعالى (١) . وممّا حُمل من الشَّواهد القرآنيَّة للتَّداخل ، قوله تعالى : { وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ } [المؤمنين : ٢٩] . إذْ حُمِلَ قوله تعالى : { مُنْزَلاً } على وجهين ، أحدهما : أَنَّهُ منصوب على المصدريّة ، أي : بمعنى : ((إنزالاً)) (٢) ، وثانيهما : أَنَّهُ منصوب على الظَّرْفيَّة المكانيَّة ، أي : مكان نزول ، ويبدو أَنَّ حمله على المصدريّة أولى وأوجه ؛ لأَنَّ الإنزال المبارك يشمل المكان وغيره . فلا يمكن أن يكون مباركًا في مكانٍ ليس بمبارك ، وذلك أَنَّ التَّوكيد بالمصدر يتناغم وسياق الآية الكريمة ، ومنه قوله ﷻ : { إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا } [النِّساء : ٣١] . والملحوظ في هذه الآية الكريمة أَنَّ قوله ﷻ : { مُدْخَلاً كَرِيمًا } يحتمل وجهين ، أوّلهما : أَنَّهُ منصوب على المصدريّة ـ المفعوليّة المطلقة ـ أي : ((إدخالاً كريمًا)) (٣) ، ويرى صاحب تفسير البيان أَنَّ التَّقدير إذا كان ظرفًا ، فالتَّقدير : ((ندخلكم مكانًا كريمًا)) ، وهو الأولى عنده ؛ لأَنَّ المكان وصف بالكريم في

---

(١) تفسير البيان : ٣/٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٢) روح المعاني : ١٨/٢٩ ، إعراب القرآن وبيانه : ٥/١٩٧ .

(٣) معاني القرآن للفرّاء : ١/٢٦٣ . إعراب القرآن وبيانه : ٢/١٤ .

موضع آخر من القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى : { وَمَقَامٍ كَرِيمٍ } ، ولكنَّ الرّاجح حمله على المصدريَّة ؛ لأَنَّ الإدخال يشمل المكان وغيره ، فلا يمكن أن يكون الإدخال كريمًا في مكان ليس بكريمٍ ، وذلك أَنَّ التَّوكيد بالمصدريَّة يتناغم والسّياق الَّذي هو في صدد التَّبشير والوعد الكريم من الله ﷻ لعباده المؤمنين . ونظير الآية الكريمة السَّابقة قوله تعالى : { وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا } [الإسراء : ٨٠] . إذْ يحتمل أن يكون { مُدْخَلَ صِدْقٍ } ظرف مكان ، أو مفعولاً مطلقًا ، أي : ((إدخالاً صادقًا)) لأنَّهُ مصدر ميمي ، وإضافته لصدق من إضافة الموصوف إلى الصِّفة ، وكذلك { مُخْرَجَ صِدْقٍ } عطف على الجملة المماثلة (١) ، ولكنّ الرّاجح حملهما على المصدريَّة ـ المفعوليّة المطلقة ـ وذلك كلا الإدخال والإخراج الصَّادقين يشمل المكان وغيره ، فلا يمكن أن يكون الإدخال والإخراج صادقين في مكانٍ ليس بصادقٍ . كما أَنَّ التَّوكيد بالمصدر المتناغم والسِّياق الَّذي هو في صدد الدّعاء والتَّوسّل والتّضرّع لله ﷻ ... ومنه قوله عزّ وعلا : { ... عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } [الإسراء : ٧٩] ؛ إذْ نلحظ أَنَّ قوله عزّ وعلا : { مَقَامًا مَحْمُودًا } يحتمل بعض الوجوه ـ أيضًا ـ الأَوَّل : أَنَّهُ منصوب على المصدريّة ، ومحمودًا : صفة ، والثّاني : أَنَّهُ منصوب على الظَّرْفيَّة ، أي يبعثك في مقامٍ ، ويبدو لنا أَنَّ حمله على المصدريَّة أولى وأدنى من المنطق لتجنّب التَّقديرات المتكلّفة ، أي : النَّصب على

---

(١) إعراب القرآن وبيانه : ٣٩٦/٤ .

المصدريَّة تارة ، وعلى الظَّرْفيَّة تارة ثانية ، وعلى الحاليّة تارة أخرى ، وهكذا ... فإنَّ الّذي يتتبّع آراء النُّحاة والبلاغيين والمفسّرين في بعض تعبير القرآن الكريم يجد أنَّهُم يحملون عددًا منها على عدّة وجوه ، وأكثر ذلك عندما يكون العامل في التَّداخل هو التَّشابه في الصّيغة ولا سيّما صيغة المصدر ، فيحمل على المفعوليّة المطلقة والحاليّة ، والمفعول له ، وغيرها . ومن اللاّفت أَنَّ ابن هشام قد ذكر حمل المصدر على هذه الوجوه في باب المنصوبات المتشابه (١) .

وذلك كقوله تعالى : { وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ } [ق : ٣١] . والملاحظ في هذه الآية الكريمة أَنَّ قوله تعالى : { غَيْرَ بَعِيدٍ } يحتمل النَّصب على المصدريَّة ، أي : إزلافًا غَيْرَ بعيدٍ ، نابت الصّفة عن المصدر المحذوف ، والوجه الآخر منصوب على الظَّرْفيَّة لقيامه مقام الظَّرْف ؛ لأنَّهُ صفة ، أي : ((مكانًا غَيْرَ بعيدٍ)) ، ويحتمل النَّصب على الحاليَّة ، أي : في حالة كونه غير بعيدٍ ، إلاَّ أَنَّ هذه الحال مؤكّدة ، وقد يجعل حالاً من الجنّة ، فالأصل ((غير بعيدة)) ، وتذكيره لأنَّهُ على زنة المصدر ، كالزّئير ، والصّليل ، والمصادر يستوي في الوصف بها المذكّر والمؤنّث (٢) ، أو على حذف الموصوف ، أي : ((شيئًا غير بعيد)) ، وعلى هذا مثله في قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ } [الرَّعد : ١٢] . والمتتبّع آراء النُّحاة والمفسّرين في قوله

---

(١) مغني اللَّبيب : ص ٧٢٩ ، ٧٣١ .

(٢) إعراب القرآن وبيانه : ٢٧٧/٧ ، ٢٧٨ ، مغني اللَّبيب : ص ٧٢٩ ، ٧٣١ .

تعالى : { خَوْفًا وَطَمَعًا } يجد أَنَّهُ قد اختلف في نصبهما ، فقيل : على المصدريَّة ، أي : لتخافوا خوفًا ، ولتطمعوا طمعًا ، وابن مالك يمنع حذف المصدر المؤكّد إلاَّ فيما استثني [١] . وقيل : هما حالان من ((الكاف)) في الفعل { يُرِيكُمُ } ، أي : ((حال كونكم خائفين وطامعين)) ، ويجوز أن يكونا مفعولاً لهما ، أي : ((لأجل الخوف والطّمع)) ، واختاره أبو البقاء ، ومنعه الزَّمخشريّ ، بأَنَّهُ لا يصحّ أن يكون مفعولاً لهما ؛ لأنَّهما ليس بفعل فاعل الفعل المعلّل ، إلاَّ على تقدير حذف المضاف ، أي : ((إرادة خوفٍ وطمع)) ، أو على معنى ((إضافة وإطماعًا)) ، وحذف الزَّوائد ، باعتبار الرؤية لا الإرادة ، أي : { يُرِيكُمُ } بمعنى يجعلكم ترون [٢] . ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من { الْبَرْقَ } ، كأنَّهُ في نفسه خوف وطمع ، أو على خوف وطمع ، أو من المخاطبين ، أي : خائفين وطامعين ، ومعنى الخوف والطّمع أَنَّ وقوع الصَّواعق يُخاف عند لمع البرق ، ويطمع في الغيث . ولكنَّ مَنْعَ الزَّمخشريّ كان غير موفّق ؛ لأنَّهُ يمكن أن يكونا منتصبين على المفعول لهما ، على أَنَّ المفعول له في مثل هذا الفعل فاعل في المعنى ؛ لأنَّهُ إذا أراهم فقد رأوا ، والأصل : وهو الَّذي يريكم البرق فترونه { خَوْفًا وَطَمَعًا } ، أي : تارةً لأجل الخوف ، وتارةً لأجل الطَّمع [٣] .

---

(١) مغني اللَّبيب : ص ٧٣٠ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٧٣٠ ، إعراب القرآن وبيانه : ٤/٧٧ .

(٣) إعراب القرآن وبيانه : ٤/٧٧ .

وممّا حمله النُّحاة والمفسِّرون على عدّة وجوه : قوله ﷻ : { تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا } [مريم : ٩٠] . إذْ نلحظ في الآية الكريمة أَنَّ قوله تعالى : { هَدًّا } محمول على عدّة أوجه ، الأَوَّل : أَنَّهُ منصوب على المفعوليَّة المطلقة ؛ لأَنَّهُ على غير لفظ الفعل ، وإنَّما هو مرادفه ؛ لأَنَّ الخرور هو السّقوط والهدم ، وقيل : إنَّهُ مفعول مطلق لفعل محذوف ، تقديره : ((تهدّ هدًّا)) ، وكأنَّهُ قيل : ((تخرّ خرورًا)) ، والثّاني : أَنَّهُ مفعول له ، أي : ((تخرّ لأَنَّها تنهدّ)) ، والثّالث : أَنَّهُ منصوب على الحاليّة ، أي : ((مهدودة)) ، ويرى الزَّمخشريّ أَنَّ الفعل ((هدّ)) يستعمل متعدّيًا ولازمًا ، فعلى الوجه الأَوَّل : هو متعدّ ؛ لأَنَّهُ صيغ منه معنى اسم المفعول ((مهدودة)) ، وعلى الثّاني : هو لازم ؛ لأَنَّ الفعل ((خرَّ)) لازم ، ومرادفه يجب أن يكون مثله ، فتأمّل هذا فإِنَّه دقيق [(١)] . ويبدو أَنَّ أكثر المعاني الَّتي تتناغم والسِّياق القرآنيّ هي المصدريَّة ؛ لأَنَّ الآية الكريمة بصدد استنكار واستعظام ما ادّعوه من اتّخاذ الله ولدًا ، لذلك فإِنَّ المصدر يؤكّد انهيار الجبال وتفتّتها لغضب الله وسخطه لولا حلمه ورحمته .

وممّا جاء في القرآن الكريم ، وخرّجه النُّحاة والمفسِّرون على البلاغة على عدّة وجوه ، قوله تعالى : { طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلا } [طه : ١ ـ ٤] . المتمعّن في الآيات

---

(١) تفسير أبي السّعود : ٣/٢٩٤ ، إعراب القرآن وبيانه : ٤/٦٤٩ ، الفتوحات الإلهيّة : ٣/٨٠ .

يجد أَنَّ قوله تعالى : { تَذْكِرَةً } قد اختلف في نصبه على عدّة وجوه ، الأَوَّل : أَنَّهُ منصوب على المصدريَّة ، أي أنزلناه ((لتذكّر به تذكرةً)) . والثّاني : أَنَّهُ مفعول لأجله ، و { إِلاَّ } أداة حصر ، والاستثناء منقطع ، قال أبو البقاء : ولا يجوز أن يكون مفعولاً من أجله لـ { أَنْزَلْنَا } المذكورة ؛ لأنَّها قد تعدّت إلى مفعول لأجله ، وهو { لِتَشْقَى } ، فلا تتعدّى إلى آخر من جنسه ، ولا يصحّ أن يعمل فيها { لِتَشْقَى } ؛ لفساد المعنى ، واختار الزَّمخشريّ أن تكون مفعولاً لأجله ، وعلّل أَنَّ كلّ واحد من { لِتَشْقَى } و { تَذْكِرَةً } علّة للفعل ، إلاَّ أَنَّ الأَوَّل : وَجَبَ مجيئه مع اللاّم ؛ لأنَّهُ ليس لفاعل الفعل المعلّل ، فاتته شريطة الانتصاب على المفعوليّة ، والثّاني : جاز قطع اللاّم عنه ، ونصبه لاستجماع الشّرائط ، وعلى هذا جرى معظم النُّحاة والمفسّرين ، قال الكرخي في تعليقه على عبارة الجلال السّيوطي : أشار إلى أَنَّ الاستثناء منقطع ، وأَنَّ { تَذْكِرَةً } مفعول لأجله ، والعامل ((أنزلناه)) المقدّر لا المذكور ، وكلّ واحد من { لِتَشْقَى } و { تَذْكِرَةً } علّة لقوله : { مَا أَنْزَلْنَا } ، وتعدّى في { لِتَشْقَى } باللام لاختلاف العامل ؛ لأَنَّ ضمير { أَنْزَلْنَا } ((للَّه)) ، وضمير { لِتَشْقَى } ((للنَّبيِّ ﷺ)) ، فلم يتّحد الفاعل ، واتّحد في { تَذْكِرَةً } ؛ لأَنَّ المذكّر هو ((الله)) تعالى ، وهو المنزل ، فنصب بغير اللام ، والثّالث : أَنَّهُ بدل من { لِتَشْقَى } ، وأنكر أبو عليّ الفارسيّ أن يكون مفعولاً لأجله ، أو بدلاً من { لِتَشْقَى } ، قال : إنَّما هو منصوب على المصدريّة [١] ، وإنَّما أوردنا هذه الأقوال على تباينها وتدافعها ؛ لأنّنا لم نستطع التَّرجيح بينها .

---

(١) مغني اللَّبيب : ص ٧٣٠ ، ٧٣١ ، إعراب القرآن وبيانه : ٦٥٧/٤ ، ٦٥٨ .

أمَّا المتمعّن في الآية الرَّابعة من الآيات السَّابقة فيجد أَنَّ قوله تعالى : { تَنْزِيلاً } قد اختلف في نصبه على عدّة وجوهٍ ، الأَوَّل : أَنَّهُ مفعول مطلق لفعل محذوف وجوبًا [١] ، تقديره : ((نزّلناه تنزيلاً)) . والثّاني : أن يكون بدلاً من { تَذْكِرَةً } إذا جُعل ((حالاً)) لا إذا كان مفعولاً لأجله ؛ لأَنَّ الشّيء لا يعلّ بنفسه ، وأن ينصب بـ ((ينزل)) مضمرًا ، وأن ينصب بـ { أَنْزَلْنَا } لأَنَّ معنى ما أنزلناه إلاَّ تذكرةً ((أنزلناه تذكرةً)) ، والثّاني : أَنَّهُ مفعول به ، ((أي أنزله الله تذكرةً لمن يخشى تنزيل الله)) ، وهو معنى حسن ، والثّالث : أَنَّهُ منصوب على ((المدح والاختصاص)) ، والرَّابع : أَنَّهُ مفعول لأجله ، وأجاز الزَّمخشريّ هذه الوجوه كافّة [٢] . ومن خلال هذا التَّمثيل بالقول القرآنيّ الكريم يُدرك المتأمّل القيمة الجماليّة للتَّداخل ، وهو يستثير فكرة المتلقّي حول هذا المنصوب بالتّشابه ، وما ارتبط به من علاقات دلاليّة ، وفي هذه الحالة يتضاعف إدراك المتلقّي وإحساسه بالتّداخلات الَّتي تدلّ عليها العبارات ذات القوّة التَّعبيريّة ، وما توحي به من معانٍ ودلالاتٍ ...

❁❁❁

---

(١) شرح ابن عقيل : ٥٦٣/١ ، ٥٦٤ وما بعدها .

(٢) الكشّاف : ١٤/٢ ، ١٦ .

المبحث الثَّالث

المصدر الصّريح والحال

النَّاظر المتأمّل والدّارس المدقّق للقرآن الكريم يلحظ أَنَّهُ انفرد بطريقةٍ بديعةٍ ولطيفةٍ في أداء معانٍ لا تُجارى ، وأسلوب فنٍّ مُحْكمٍ لا يُبارى ، وفي هذا المقام يمكن أن نلمح شيئًا من التَّداخل بين المصدر الصّريح والحال في التَّعبير ، وما يفيض به من معان حيّة ، وذلك كقوله تعالى : { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ } [الأنعام : ٣١] . فنلحظ في الآية السَّابقة أَنَّ قوله تعالى : { بَغْتَةً } محمول على وجهين : أوّلهما : أَنَّهُ منصوب على المصدريّة ، أي : المفعوليّة المطلقة ، بفعل محذوف ، تقديره : ((تبغتهم بغتةً)) ، أو للفعل نفسه لترادفهما في المعنى ، وثانيهما : أَنَّهُ منصوب على الحاليّة على التَّأويل بالمشتقّ ، أي : ((باغتةً)) ، أو ((ذو بغتة)) (١) . وهذا ما ذهب إليه المفسِّرون ؛ إذْ يرى الزَّمخشريّ (٢) أَنَّ بغتةً ((فجأة)) وانتصابها على الحال بمعنى ((باغتةً)) ، أو على المصدر كأنّه قيل : ((بغتهم الله

---

(١) شرح ابن عقيل : ٢/٢٥٣ ، ٢٥٥ .

(٢) الكشَّاف : ٢/١٤ ، ١٥ .

بغتةً)) ، ولكنّ السِّياق القرآني الَّذي جاءت فيه الآية الكريمة يستلزم توكيدًا ، لذا فإنَّ المصدر الصّريح في هذا السِّياق وتناغمه مع التَّعبير بالفعل الماضي لحدث لم يقع بعد ، يؤذن بحتميّة وقوع السَّاعة ومباغتتها للذين كذّبوا وقوعها ، كما أَنَّ لوقوع المصدر في موضع الحال دلالةً تتناغم وسياق الآية الكريمة ؛ وذلك لما فيه من مبالغة في وصف صاحب الحال ، أي : مبالغةً في فجأة مجيء السَّاعة ووقوعها ؛ إذْ إنَّ الأكثر في المفعول المطلق أن يكون مصدرًا ، وكما أَنَّ الحال قد ترد مصدرًا على الرَّغم من ردّ النُّحاة ذلك ، فيرى سيبويه أَنَّ وقوع المصدر حالاً مقصور على السَّماع ، ولا يقاس عليه ؛ لأَنَّهُ مخالف للأصل ؛ إذْ إنَّ الحال وصف لصاحبها ، ولا يجوز الوصف بالمصدر ؛ لأَنَّهُ جامد غير مشتقّ ، ولا دلالة فيه على صاحب المعنى ، أو الذَّات [(١)] ، ويرى بعض النُّحاة القياس عليه شرط أن يكون المصدر الواقع حالاً نوعًا من عامله ، وذلك نحو قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة : ٢٦٠] . فقوله تعالى : { يَأْتِينَكَ سَعْيًا } ، فـ { سَعْيًا } حال منصوبة ؛ لأَنَّ السَّعي نوع من الإتيان [(٢)] ، وقد يوصف بالمصادر كما يوصف بالمشتقّات ، فيقال : رجلٌ فضلٌ كما يقال : رجلٌ

---

(١) الكتاب : ١/٣٤٢ ، ٣٤٥ .

(٢) المقتضب : ٣/٢٣٤ ، ٢٣٥ .

فاضلٌ ... [١] والإتيان بالحال بلفظ المصدر يفيد ما يفيده المصدر مع فائدة الحال ، فهو أتمّ معنًى ولا تنافي بينهما [٢] . ويرى الدّكتور فاضل السّامرائي أَنَّ هذا الرأي أسوغ الآراء وأصوبها ؛ لأَنَّ مجيء المصدر حالاً كثير في كلام العرب ، وكثرته تخوّل القياس عليه [٣] . وأَمَّا الوجه الآخر فيجوز أن يكون مصدرًا مؤكّدًا ؛ لأَنَّ السَّعي والإتيان متقاربان ، فكأنَّه قال : ((يأتينك إتيانًا)) ، ويرى أبو حيّان أَنَّ المعنى : ((يأتينك وأنت تسعى سعيًا)) ، فيكون الفعل المحذوف هو ((الحال)) على الأصل ، أي : ((يأتينك وأنت ساعٍ إليهنّ)) فيكون منهنّ إتيان ، ومنك سعي ، فتلتقي بهنَّ [٤] .

وللمبالغة في بيان هذه القدرة جاء وقوع المصدر حالاً ، وكأنّ هذه الطّيور تحوّلت إلى سعي ، فكم يكن فيها ما يثقلها من عنصر المادّة [٥] . ويبدو أَنَّهُ لا ضرورة للتَّوكيد بالمفعول المطلق ؛ لأَنَّ إبراهيم عليه السلام واثق كلّ الثِّقة بقدرة الله سبحانه لكونه نبيًّا مُصدّقًا بالضّرورة لكلام الله عز وجل وقدرته . وممّا حُمِلَ على المصدريَّة والحال ، وقوله تعالى : { لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ

---

(١) شرح المفصّل لابن يعيش : ٥٠/٣ .

(٢) التّفسير القيِّم ، ابن قيّم الجوزيّة : ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٣) معاني النَّحو ، د. فاضل السامرّائي : ٧١٩/٢ ، ٧٢٠ .

(٤) البحر المحيط : ٣٠٠/٢ ، ٣٠١ .

(٥) معاني النَّحو : ٧٢٠/٢ ، ٧٢١ .

جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ } [الصَّافَّات : ٨ . ٩] . المدقّق في هاتين الآيتين الكريمتين يجد أَنَّ قوله تعالى : { دُحُورًا } يحمل على عدّة أوجه ، الأَوَّل : أَنَّهُ منصوب على المصدريّة ، وينوب عن المصدر مرادفه ، والقذف والطّرد متقاربان . والثّاني : أَنَّهُ مفعول لأجله ، أي : يقذفون للدّحور ، والثّالث : أَنَّهُ منصوب على الحاليّة ، أي : مدحورين . ويبدو أَنَّ حمله على المفعوليَّة المطلقة أولى لتجنّب التّقديرات المتكلّفة ، ولكونها تتناغم والسِّياق الَّذي هو في صدد الأمر بالقذف والطّرد العذاب ، لما في المفعوليَّة المطلقة من توكيد .

ومن الملاحظ أَنَّ لكلٍّ من المفعوليَّة المطلقة والحاليّة دلالةً خاصّة ، فالمدركات والدّرجات البلاغيَّة لا يمكن أن تتساوى بينهما .

وممّا خرّجه النُّحاة وبعض المفسِّرين على الوجهين ، قوله تعالى : { قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } [الأنعام : ٦٣] . المتمعَّن في هذه الآية الكريمة يجد أَنَّ { تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً } محمولان على المفعوليَّة المطلقة ، أي : ((إعلانًا وإسرارًا)) ؛ لأنَّهما بمعنى الدّعاء ، فالعامل فيهما من غير لفظهما ، أمَّا الوجه الآخر فمحمولان على الحاليّة ، أي : معلنين ومسرّين (١) ، ويبدو أَنَّ حملهما على الحاليّة أولى ؛ لأَنَّ بيان هيئاتهم في الدّعاء وملازمة هذه الهيئات لهم عند دعائهم يتحقّق

---

(١) روح المعاني : ١٧٩/٧ ، ١٨٠ .

بالحاليّة ، ومن خلال وقوع المصدر حالاً تتحقّق المبالغة في الدُّعاء والتَّضرّع دون وجود ما يعيق ذلك من الذَّاتِ ، وهكذا نرى تداخل المنصوبات المتشابهة في التَّعبير القرآنيّ الكريم الَّتي لا تنحصر بدلالة واحدة ، وإنَّما تتعدّد دلالاتها وفق السّياقات الَّتي تحيا فيها .

۞۞۞

المبحث الرَّابع

المصدر الصّريح والمفعول له

الجملة القرآنيَّة قد سبكتها القدرة الإلهيّة سبكًا في أسلوب عربيّ متين ، تتمتّع بخصائص جماليّة وفنيّة ، تدع القارئ ينصهر في جوّها كلّما أمعن وتدبّر ، وفي هذا المقام يمكن أن نلمح شيئًا من هذا التَّداخل بين المصدر الصّريح والمفعول له في التَّعبير القرآنيّ الكريم ، وذلك نحو قوله تعالى : { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [المائدة : ٣٨] ؛ إذْ نلحظ أَنَّ القول القرآنيّ : { جَزَاءً } و { نَكَالاً } محمول على وجهين ، أحدهما : أَنَّ { جَزَاءً } و { نَكَالاً } منصوبان على المصدريَّة ، أي : المفعوليّة المطلقة ، بفعل مقدّر ، أي : ((جازهما جزاءً)) الَّذي دلّ عليه { فَاقْطَعُوا } ، وهو بهذا مؤكّد لنفسه ؛ لأَنَّ القطع هو الجزاء ، وثانيهما : أنَّهُما مفعول لهما ، أي : لأجل الجزاء ، ولأجل النَّكال ، وذلك لأَنَّ علّة القطع هي الجزاء بسرقتهم للنّكال بهم . وقيل : إنّهما منصوبان على الحاليّة من الفاعل ، أي : مجازين لهما بالقطع [(١)] . ويبدو أَنَّ الحمل على المفعول له أولى وأدنى للمنطق ؛ لأَنَّ تناغم السّببيّة وسياق الآية المباركة الَّذي هو بصدد بيان حكم شرعيّ قد يتبادر للذّهن قسوته أو غربته ؛

---

(١) مجمع البيان : ١٩١/٣ ، ١٩٢ .

لذا فإنَّ بيان علّته يفسّر وقوعه . ومن الملاحظ أَنَّ التَّشابه بين المصدر الصّريح والمفعول له لا يعني أَنَّهُمَا يتداخلان في جميع التَّراكيب الَّتي يجيئان فيها ، فهناك فروق مهمّة بينهما ، فضلاً عن السّببيّة الَّتي يفيدها المفعول له (١) ، وأهمّها : مجيء المفعول مصدرًا مؤوّلاً ، ومشاركته للحدث في الفاعل ، فإن لم يشتركا وجب جرّه بحرف التّعليل ((اللام أو الباء)) ، نحو قوله تعالى : { وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً } [النَّحل : ٨] . ولكنَّ بعض النُّحاة لا يشترطون ذلك ، مستدلّين ببعض الآيات المباركة ، نحو قوله ﷻ : { يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا } [الرَّعد : ١٢] . المتقدّم ذكرها ، وذلك أن يكون قلبيًّا ، ولكنّ بعض النُّحاة لا يشترطون ذلك ؛ لأَنَّ الأخذ بهذه الشّروط يقلّل من التَّداخل بين المصدر الصّريح والمفعول له ؛ إذْ إنَّ هذه الشّروط لا وجود لها في المصدر الصّريح (٢) .

وأدعوك إلى تأمّل تداخل المصدر الصّريح والمفعول له في الأسلوب القرآنيّ لتملأ عينيك من جمال روعته ، وجلال بيانه ، فإنّك ستلمح التّنوّع في طرائق التَّعبير ، نحو قوله تعالى : { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ

---

(١) الكشّاف : ٤٠٢/٢ ، ٤٠٣ .

(٢) شرح ابن عقيل : ١٨٦/٢ ، ١٨٧ ، همع الهوامع : ١٩٤/١ ، أوضح المسالك : ٤٢/٢ .

النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } [البقرة : ٢٧٣] . فإذا دقّقنا النّظر في هذه الآية المباركة فسوف نجد فيها أَنَّ المصدر الصّريح { إِلْحَافًا } محمول على عدّة أوجه :

أوّلها : أَنَّهُ مفعول مطلق لفعل محذوف ، أي : ((يلحفون إلحافًا)) .

وثانيها : أَنَّهُ مفعول له ، وقد استوفى شروطه .

وثالثها : أَنَّهُ مصدر مؤوّل في موضع نصب على الحال ، أي : لا يسألون حالة كونهم مخلصين ...

ويبدو لنا أَنَّ حمله على المصدر على أَنَّهُ مفعول مطلق لفعل محذوف أولى بالمقام ، وذلك كونه يتناغم والسِّياق الَّذي هو بصدد الإلحاح الشَّديد في المسألة ؛ لما في المصدر الصّريح من التَّوكيد (١) . ومنه قوله تعالى : { كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ } [الحاقّة : ٤ ـ ٨] . والملحوظ في هذا النَّصّ المبارك أَنَّ المصدر { حُسُومًا } محمول على عدّة أوجه ، أوّلها : أَنَّهُ منصوب على المصدريّة بفعل محذوف من لفظه ، أي : تحسمهم حسومًا . بمعنى ((تستأصل ، استئصالاً)) ، وثانيها : أَنَّهُ منصوب على الحاليّة ، أي ذات

---

(١) مجمع البيان : ١٤٣/٣ ، ١٤٤ ، إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٣٦٥/١ .

حسوم ، وثالثها : أَنَّهُ مفعول له ، أي : سخّرها عليهم للاستئصال ، ويبدو أَنَّ المصدر الصّريح يتناغم وسياق النَّصّ المبارك لما في المصدر من التَّوكيد لإثبات حسمها ، وكذلك المفعول له ؛ لأَنَّ الله سبحانه سخّر عليهم الرِّياح لتستأصلهم ، وكذلك الحاليّة ، فوقوع المصدر حالاً يفيد المبالغة في حسمها (١) .

لذا فإِنَّ التَّرجيح في بعض الوجوه الإعرابيَّة للمصدر الصّريح في التَّراكيب النَّحويَّة المتشابهة والمتداخلة في تعبير القرآن الكريم الأثر البارز والواضح في تغيير منحى أسلوب الكلام من نمطٍ إلى نمطٍ آخر ، شغل عقل النُّحاة والبلاغيين وعلماء التّفسير ، وأصحاب القراءات القرآنيّة في توجيهها الأقوم والأمثل ... ومهما يكن من أمرٍ فإِنَّ القرآن الكريم راسخ في عزّته أمام المسائل الخلافيّة والنّزاع العلميّ الَّذي يجري من حوله تباين الآراء والأفكار ، وبهذا فإِنَّ القوّة الكامنة في أسلوبه هي السرّ في إعجازه البياني ، ذلك السرّ الَّذي يملأ الإحساس به نواحي الشّعور الإنسانيّ .

❁❁❁

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ١٨/٢٦٠ ، ٢٦١ .

الخاتمة

الحمد للّه وكفى ، وصلّى الله على النَّبيِّ المصطفى ، وأَمَّا بعد : فهذا هو عملنا ، وقد بلغ نهايته من خلال دراسة مباحثه الأربعة .

ونستطيع أن نوجز ما توصّلت إليه هذه الدِّراسة فيما يأتي :

أوَّلاً : كشفت هذه الدِّراسة عن كيفيَّة توظيف النَّحو والبلاغة لخدمة القرآن الكريم .

ثانيًا : الموازنة بين بعض الأساليب العربيّة ، وما تشابه منها في المعنى من آي الذِّكر الحكيم ، للوقوف على سموّ النّظم القرآنيّ .

ثالثًا : إدراك القيمة الدّلاليّة والجماليّة الَّتي تبرز في الآيات عن طريق الحسّ والذّوق ، وبيان آثارها النَّحويَّة والبلاغيّة في التَّراكيب .

الباحث

۞۞۞

ثبت المراجع

- القرآن الكريم .
- الأشباه والنَّظائر في النَّحو ، السّيوطي ، ط ٢ ، مطبعة دائرة المعارف ، حيدر آباد الدّكن ، ١٩٣٨ م .
- إعراب القرآن ، للزجّاج ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدِّين درويش ، اليمامة للطّباعة والنّشر ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط ٩ ، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م .
- الأمالي النَّحويَّة ، ابن الحاجب ، تحقيق : هادي حسن حمودي ، ط ١ ، مكتبة النَّهضة العربيّة ، ١٩٨٥ م .
- أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ، ط ٤ ، مطبعة السَّعادة ، مصر ١٩٧٥ م .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، تحقيق : لجنة من الأزهر ، مطبعة السُّنَّة المحمّديّة ، القاهرة ، بلا تاريخ .
- البحر المحيط ، لأبي حيَّان الأندلسي ، ط ٢ ، دار الفكر للطّباعة والنَّشر والتَّوزيع ، ١٩٧٨ م .
- التَّأويل النَّحويّ في القرآن ، د. عبد الفتَّاح أحمد الحموز ، ط ١ ، مكتبة الرّشد للنّشر والتَّوزيع ، الرِّياض ، ١٩٨٤ م .
- تفسير أبي السّعود والمسمّى بـ ((إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا القرآن الكريم)) ، لأبي السّعود محمَّد العمادي ، ط ١ ، المطبعة المصريّة ، ١٩٢٨ م .

- التّفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة بنت عبد الرَّحمن ((بنت الشاطئ)) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .
- التّفسير القيّم ، لابن قيّم الجوزيّة ، جمع محمَّد الندوي ، وتحقيق : محمَّد حامد الفقي ، لجنة التراث العربيّ ، بيروت ، ١٩٤٨ م .
- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ، ١٩٦٦ م .
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمَّد شاكر ، مطبعة المدني ، الخانجي ، ١٩٧٤ م .
- روح المعاني وتفسير السّبع المثاني ، الألوسي ، مكتبة دار التّراث ، القاهرة ، المركز الإسلامي للطّباعة .
- شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك ، تحقيق : محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ، ط ٢ ، مطبعة مصطفى البابي ، مصر ، ١٩٣٩ م .
- شرح المفصّل ، لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، (د. ت) .
- العربيّة والغموض (دراسة لغويّة في دلالة المبنى على المعنى) ، د. حلمي خليل ، ط ١ ، دار المعرفة الجامعيّة ، ١٩٨٨ م .
- العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث ، د. محمَّد حماسة عبد اللّطيف ، دار الفكر العربيّ ، القاهرة (د. ت) .
- الفتوحات الإلهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدّقائق الخفيّة للجمل ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، (د. ت) .
- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السَّلام هارون ، ط ٣ ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .
- اللّغة العربيّة معناها ومبناها ، د. تمام حسّان ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م .

- مجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي ، دار إحياء التّراث العربيّ ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- مشكل إعراب القرآن ، لمكّي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : ياسين محمَّد السوّاس ، مطبعة الحجاز ، دمشق ، ١٩٧٤ م .
- معاني القرآن ، الفرّاء ، تحقيق : محمَّد عليّ النجّار ، مطبعة دار الكتب المصريّة ، ١٩٧٢ م .
- معاني النَّحو ، د. فاضل صالح السّامرائي ، مطبعة التَّعليم العالي ، الموصل ، (د. ت) .
- مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق : مازن المبارك ، ومحمَّد عليّ حمد اللّه ، راجعه : سعيد الأفغاني ، ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- المقتضب ، المبرّد ، تحقيق : محمَّد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، (د . ت) .
- من بلاغة القرآن ، لأحمد أحمد بدوي ، ط ٣ ، مكتبة نهضة مصر ، بالفجّالة ، (د. ت) .
- مواهب الرَّحمن في تفسير القرآن ، للسيّد عبد الأعلى السبزاواري ، ط ١ ، مؤسّسة أهل البيت ، بيروت ، ١٩٧٢ م .
- النَّحو الوافي ، عبَّاس حسن ، ط ٤ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٣ م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، لجلال الدِّين السّيوطي ، تحقيق وشرح : د. عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلميّة للنّشر والتَّوزيع ، الكويت ، ١٩٧٧ م .